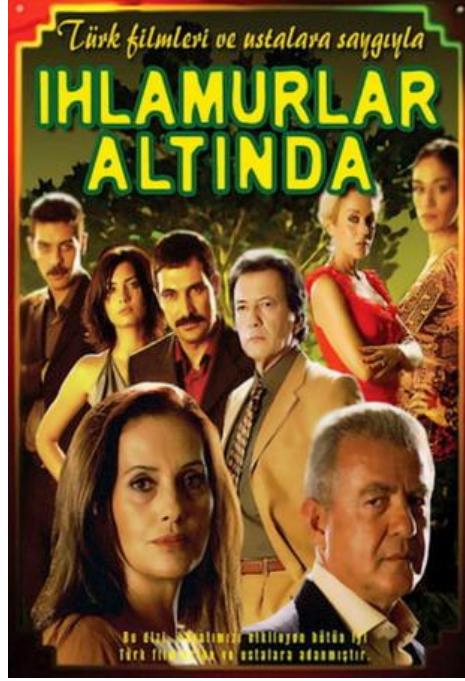


سنوات الضياع

المسلسل الذي أضاع أبطاله بوصلتهم

بقلم: محمد الكحط



مسلسل سنوات الضياع، من أخرج أيدين بولوت

(AYDIN BULUT)

مسلسل تركي مدبلج، يعرض على فضائية ال "أم بي سي" ، وهو ثاني تجربة اختيار ناجحة لهذه المحطة العربية بعد مسلسل "أكليل الورد" كونه يعرض دراما تركية استطاعت أن تشد أليها جمهور واسع من المشاهدين. المسلسل يحمل بين طياته الكثير من القصص المشوقة عن الحب والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتعددة الأوجه، ومواضيع أخرى عديدة مهمة، ورغم أن المسلسل مدبلج باللهجة السورية لكن قوة الشد والتشويق بقيت جميلة وممتعة واستطاعت الدبلجة مقارنة الأحداث وتطوراتها. وبالرغم من طول المسلسل الذي يستمر عرضه حتى الثمانين حلقة، لكنه استطاع أن يجلب عدد كبيرا من المشاهدين الهاربين من المسلسلات العربية التي مازالت تراوح على ذات النمط من المواضيع المبسترة والمكررة. ربما يقال كان الأجدر الانتظار حتى نهاية المسلسل للكتابة عنه، ولكن المحتوى العام للأحداث بدء يتضح، وهناك أحساس مؤكد بأن فواقع عديدة سيتضمنها المسلسل لاحقا. ومن المؤكد أيضا أن نهاياته سوف تكون سعيدة ومرضية للمشاهد الشرقي الذي تملكه العواطف النبيلة المحبة للخير والسلام.

يتناول المسلسل قصة حب محورية ترافقها قصص حب أخرى، وهناك أيضا مواضيع تتعلق بواقع المجتمع والصراعات والأحداث الجارية فيه، أهمها الصراع الطبقي بين الشغيلة وأرباب العمل. والتي عكسها المسلسل بأسلوب بعيد عن المباشرة وكيف يتحكم أرباب العمل بمصير العمال، بل حتى يؤثر على عواطفهم، وأستمر المسلسل من البداية حتى النهاية بعرض هذه الموضوعات التي تراجعت إلى الخلف ولم تكن في واجهة أحداث المسلسل ولعل في ذلك ذكاء يحسد عليه كاتب السيناريو وكذلك المخرج.

لقد أظهر المسلسل حزمة من مشاكل وصراعات تدور رحاها في أجواء متباينة تشمل عالم تتوزع مشاهده ومسالكه عند قرية تعد واحدة من ضواحي القسم الغربي من اسطنبول، ويظهر المسلسل تناقض عالمين حيث الضواحي المهمشة التي تتعدم فيها الخدمات ويسكنها الناس البسطاء من العمال والكسبة، وجوارها المدينة الحديثة بترفها وأحيائها الغنية وأبنيتها الشاهقة. وأيضا يكشف السيناريو عن ترابط وتداخل عالم تلك الضاحية بالمدينة عبر زيجات وحب وعلاقات عمل.

رفيف الفقيرة والطموحة بنت القرية وعمر الغني، ثم يحيي العامل البسيط ابن القرية المنتقم والطموح. وبعد أن تتوفر له فرصة الغنى تكون حصته لميس الجميلة والغنية أخت عدوه عمر لتكون له انتقاما في البدء ثم حبا جارفا في النهاية. كما عكس المسلسل بوضوح التنافس الغير المبدئي بين أرباب العمل ومحاولتهم النيل من بعضهم وتناحرهم بل صراهم المتعدد الأشكال والذي قد يصل في البعض منه حد الاقتتال، كما عكس المسلسل عالم الرأسمال في عصر العولمة وكيف تدار حرب البورصات والتناحرات بين أصحاب رؤوس الأموال والصراعات المعلنة وغير المعلنة، قدم المسلسل صورا لما تقوم به العصابات الإجرامية المنظمة، كما عرض المسلسل موضوعات في غاية الأهمية وهي العنف الأسري، حيث لاحظنا كيف تتعرض فخرية "أخت يحيى" للضرب عدة مرات من قبل زوجها "جميل" بعد أن يتناول الكحول ويتحول من إنسان مسالم إلى إنسان آخر يصعب إيقاف عدوانيته، وهذه المشكلة تعد واحدة من أكثر المشاكل في عالمنا الحديث وربما هي واحدة من المآسي التي تتعرض لها النساء وبالذات في العالم الغربي. وتكون هذه الظاهرة واحدة من الأسباب الرئيسية في التفكك الأسري.



ربما لم تكن هذه المواضيع مهمة للمتابع العادي، الذي يراقب فقط الحدث المحوري وهو قصة حب "يحيى" القادم من الريف أو بالأحرى من أطراف المدينة والذي يجمع النقاء والتعصب في آن واحد، والذي أحب بعمق وعنقوان الفتاة ابنة قريته "رفيف" التي يدفعها تخبطها ورغباتها ورغبات أمها إلى الضياع والخسارات على المستوى الشخصي والاجتماعي، والذي تدركه متأخرة، حين تشعر بشكل متأخر أن لا شيء أسمى من الحب الحقيقي والذي لا يمكن أن يعوض بالمال أو الجاه. لقد وضع المؤلف الحكمة في أصغر شخوص المسلسل وهي "سوزان" أخت رفيف التي نضجت وتصرفت بعقل أكبر من عمرها، فكانت هي الواعية في أحكامها والدقيقة في خياراتها التي عجز عن إدراكها أمها أو أختها الكبيرة أو أب زميلها صاحب الأعمال المترف.

رغم جمال رواية المسلسل والسيناريو إلا أن ما يؤاخذ على السيناريو، الاعتماد على عامل الصدفة في تصعيد وتطور الحدث والتي تتكرر كثيراً حتى يبدو للمرء وكأنه يشاهد سيناريو لفلم هندي تتوالى فيه الحوادث المعتمدة على الصدفة، لكنه أحتوى على حوار جميل وشاعري أحياناً، كما تمكن من عكس عادات وتقاليد الشعب التركي في المناسبات والتي هي قريبة من عاداتنا وتقاليدنا، ونقلت الكاميرا لقطات جميلة للقريّة ولبؤس ناسها ومعاناتهم قياساً بعالم المدينة الكبير الذي تنقلت الكاميرا فيه عبر استانبول وضواحيها الحديثة وجسرها الشهير الذي يربط جزئها الآسيوي والأوروبي.

المسلسل مليء بقصص الحب الغير موفقة والزيجات الفاشلة، حب يحيى الذي أضاعه بعصبيته وتهوره وجزعه، ورفيف التي شاركته تهشيم ذلك الحب بعنادها ورغبتها بالوظيفة والشهرة والمال على حساب قدسية حبهما، كان حبهما حقيقياً صادقا، ولكنه تحول إلى انتقام مدمر أفقد يحيى بوصلته وكانت ضحية هذا الانتقام "لميس" التي أدت دورها الممثلة التركية "توبا" التي مثلت دور جميلة في المسلسل السابق "أكليل الورد".

في مسلسل سنوات الضياع أحببت لميس للمرة الأولى في حياتها بصدق وعنقوان ثم تكتشف أن هذا الحب لم يكن إلا كميناً نصب للانتقام من أخيها عمر الذي أعتقد يحيى أنه خطف منه رفيف. هناك أيضا قصة أميرة التي أحببت كمال ليتحول حبهما إلى حقد وكرهية، بل انتقام مدمر تحاول فيه تنغيص حياة كمال وإفشال مشاريعه. كذلك ليلي المطربة التي أخطأت بوصلة قلبها لتحب كمال المتزوج من امرأة يحبها بكل جوارحه ويريد أن يوفر لها كل شيء ويعمل من أجل إعادة الحب إلى قلبها بعد أن فقدت أبنهما وهو مشترك الحب الكبير بينهما. أكرم الذي أحب ليلي المطربة التي تعتبر من أملاك سيده وهي تحب كمال، محاولة مراد التودد إلى لميس التي تتردد في مجاراته، هالة التي أحببت سابقا طارق الفقير لتتزوج دون رضاها عبود الغني ويبقى ذلك الحب الحقيقي رمزاً وذكرى جميلة تعاد بشكل صداقة ظاهرة ولكن هالة تدفع الثمن غالياً. حب صالح لفخرية، هذا الحب الصامت الذي كانت ضحيته فخرية حين تزوجت خطأ رجلاً لا تحبه ولا يفهمها، ورغم كل ذلك الزمن الضائع والصعاب فقد أنتصر هذا الحب ليقهر الظروف ويعيد النصاب لوضعه الطبيعي وينتصر الحب بسموه ورفعته.

أحتوى المسلسل على حكايات الحب الممتعة التي جسدت المعاناة والتضحية ونكران الذات بجانب الصور الجميلة الأخرى التي تحكي لنا دروساً بليغة عن الحياة، دروساً للاهثين وراء المال تاركين أجمل ما في الحياة وأسمى ما فيها وهو الحب... وبالرغم مما يكتنف المسلسل من حوادث مأساوية وصراعات دامية وفشل فأن النهاية تبقى دائماً انتصاراً حقيقياً ومحتماً للحب وبالذات حب لميس النقي والحقيقي.
ليحيى الحب.

اللازمة التي تتكرر في المسلسل هي أغنية تركية بديعة اللحن رائعة الكلمات. تستعرض تلك الأغنية حالة الانكسار في النفس البشرية، لوعة الفراق وألم الجرح حين يسببه الحبيب. تقول كلماتها:

الخجولة مثل... ندفة الثلج
المكسورة مثل... جناح الطير
الحبيب الغريب - (حرام) - لمس جلدك
هذا الفراق قبل الأوان ...
أنا دفنت قلبي في الأرض
وأشجار الزيزفون تذرف دموع من دم
أي نوع من الوداع هذا يا حبيبي؟ ...
دموعك سقطت من عيوني ...
أنا صامت
لذلك الحب لا يمسنى
حبه مازال معي
خضع راسي للإذلال
لا تجعل هذا الجرح ينزف ...

صور وأسماء بعض الممثلين وأسماء القائمين بالدبلجة







Sinan Tuzcu

Tuba Büyüküstün

